المقطعات الشعرية
في ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي
(ت ٦٤٩هـ)
- دراسة في الموسيقى الخارجية -

Poetic stanzas in the collection of poems
of Ibrahim ibn Sahl al-Ishbili (d. 643 AH):
A study of external music

أ.م.د. هشام نهاد شهاب
assistant professor dr. hesham nihad shehab
hisham_shihab@aliraqia.edu.iq
2025 ad 1447 ah

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

الملخص

يدرس هذا البحث الموسيقى الخارجية بشقيها الوزن والقافية، وأهميتها في صياغة الغرض الشعري وصناعته، وبالتحديد في المقطعات الشعرية ذوات الأبيات القصار، ولدى شاعر كبير من شعراء عصر الموحدين ألا وهو ابن سهل الإشبيلي (ت: ٦٤٩هـ).

الكلمات المفتاحية: الموسيقى الخارجية، ابن سهل، المقطعات.

Abstract:

This modest research studies external music in its two forms, meter and rhyme, and its importance in formulating and creating poetic purpose, specifically in short stanzas, as performed by a prominent poet of the Almohad era, Ibn Sahl al-Ishbili (d. AH).

Keywords: external music, Ibn Sahl, stanzas.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا باقيين دائمين على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تتبوأ الموسيقى الشعرية مكانة بارزة ومهمة للغاية، لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستهانة بها في الشعر العربي بمختلف أغراضه وعصوره الأدبية مشرقية وأندلسية، كيف لا والشعر في أبسط مفهوم له هو ذاك الكلام الموزون المقفى الدال على معنى، إنَّ كل من يطلع على ديوان ابن سهل الإشبيلي لا يملك سوى الاعتراف بالشاعرية المتميزة والقدرة الإبداعية الكبيرة التي أضافت الكثير لما تركه لنا الشعر العربي في الأندلس على مدار قرونه المتعددة، وهذا البحث كان الهدف منه بيان جمالية استخدام الوزن الشعري والقافية الشعرية في المقطعات الشعرية في ديوان الشاعر ابن سهل الإشبيلي، وبعد التوكل على الله سبحانه وتعالى، وجرد المقطعات في ديوانه اقتضى منهج البحث أنْ يقسّم هذا البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة، كان مدار الحديث في التمهيد عن حياة الشاعر ونشأته ونبذة عن شاعريته، فضلًا عن التعريف اللغوي والاصطلاحي لظاهرة المقطعات الشعرية، أمّا المبحث الأول فقد كان فحواه هو بيان الأوزان والبحور الشعرية التي استعملها ابن سهل في مقطعات ديوانه الشعري، والمبحث الثاني كان ميدانًا للحديث عن القافية الشعرية بنوعيها المطلق والمقيد، وبيان توظيفها في ديوان الشاعر، أمّا الخاتمة فقد بينت النتائج التي تم استخلاصها من البحث.

وفي الختام أسأل الله تعالى أنْ يكون هذا البحث قد أعطى صورة وافية عن استخدامات الموسيقى الشعرية في مقطعات شعر ابن سهل الإشبيلي، وأنْ يكون إضافة نوعية في خدمة أدب الفردوس المفقود.

والله من وراء القصد ..

Journal of Islamic Sciences
Vol.4 | Issue 41
ISSN: 2225-9732
December 2025
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 4 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

التمهيد

أولًا: ابن سهل حياته، ونشأته، وشاعريته:

حياته ونشأته:

يعد ابن سهل من الشخصيات الأندلسية ذائعة الصيت على المستويين الأدبي والسياسي، فهو قد عاش أغلب سنوات حياته في ظلال دولة الموحدين التي كان في أيامها (المغرب والأندلس يكونان دولة واحدة عاصمتها مدينة مراكش التي ازدهرت فيها الحياة الفكرية والعلمية، وظهرت فيها نخبة من كبار الفلاسفة والأطباء أمثال ابن رشد وابن زهر وابن طفيل وغيرهم).[١]

وإذا ما أردنا أنْ نعَّرف بشاعرنا الكبير ابن سهل نجد أنّهُ هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإشبيلي الإسلامي الأندلسي،[٢] الشاعر صاحب الموشحات الرقيقة وأحد المفاخر الكبيرة في الأدب الأندلسي، ابن سهل الشاعر صاحب الحس الفني المتفرد عن غيره بصدق العاطفة التي كانت تحملها أحاسيسه ووجدانه.

في إشبيلية المدينة الجميلة من مدن الفردوس المفقود كانت النشأة الأولى لشاعرنا الفذ، بل إليها تعود نسبته، وقد ولد فيها سنة (٦٠٩هـ) في خلافة أبي عبد الله محمد الناصر ابن الخليفة المنصور.[٣]

أمّا عائلة الشاعر فقد (سكن آباؤه الأندلس منذ زمن بعيد، ثمَّ صاروا من ذوي الجاه والشأن)[٤]، كما أنَّ والده سهل كان من يهود إشبيلية أصله ليس من العرب، لكنه كان رجلًا معروفًا صاحب منزلة رفيعة في مدينة إشبيلية، وقد (ترعرع ابن سهل في هذه البيئة الجميلة الوارفة الظلال التي كانت مرتعًا خصبًا للعلم والعلماء والأدباء، إذ بدأ يتعلم القراءة والكتابة، ويختلط مع الأدباء والشعراء، فأشرب في قلبه الولع بالشعر والافتتان بهِ)[٥].

---

(١) في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد العبادي: ٣٣٠.

(٢) يُنظر: تحفة القادم، ابن الآبار: ٢٤٣ ، المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد: ٢٦٩/١ ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ابن سعيد: ٧٣ ، المقتطف من أزهر الطرف، ابن سعيد: ١٠٨ ، الوافي بالوفيات، الصفدي: ٥/٦ ، نفح الطيب، المقري: ٦٦/٥ ، ذيل مرآة الزمان، اليونيني: ٤٧٦/١، فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي: ٢٠/١.

(٣) ديوان ابن سهل الأندلسي، إحسان عباس: ١٢.

(٤) المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الاسكندري وآخرون: ١٣٥/٢.

(٥) اتجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الاشبيلي الأندلسي دراسة موضوعية فنية، د. عدنان جاسم محمد: ٢٠.

ولحب ابن سهل للأدب والشعر فقد شدا بهِ صبيًا، والأديب الحق هو ذلك الذي تتولد موهبته في مراحل حياته الأولى، فشاعرنا اشتهر (منذ عهد مبكر بسرعة البديهة وقوة الحافظة، والقدرة السريعة على النظم المرتجل)[١] ؛ والأجل ذلك أخذت قريحته تتفتح وتنمو شيئًا فشيئًا، فكانت نذيرًا وبشيرًا بالخير بولادة شاعر كبير سوف يكون لهُ الشأن الكبير في عالم الشعر الأندلسي فيما بعد، وقد اتصف الشاعر بصفات مميزة (منها الذاكرة وسرعة الحفظ كما تميز بذوق خلاب)[٢]، وقد تحدث عنه زميله وصديقه المقرب منه ابن سعيد فقال في بعض صفاته فقال: (كان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه، يحفظ الأبيات من سمعه).[٣]

مذهبه الديني:

كان الشاعر ابن سهل يهوديًا تغلغلت اليهودية في نفسه حتى عللوا رقة شعره باجتماع ذل العشق وذل اليهودية في نفسه، ولكنه بفضل الله تعالى، ثُمَّ بفضل معيشته في ظل البيئة الأدبية التي كانت تفرض عليه تلقي الدروس في مساجد إشبيلية، وتعلم الثقافة الإسلامية فيها على الرغم من جذوره اليهودية، (فقد أخذ يختلف إليها مع أبناء الأشراف من أهالي أشبيلية وتكون أولى صداقاته مع ابن سعيد الذي يعد صديقه في الطفولة والشباب، إذ تجمعهما الألفة والمودة).[٤]

ويلاحظ في ظل هذا الجو الإيماني والاسلامي الذي تفوح منه روح الإسلام وتعاليمه السمحاء (تأتي اللحظة الحاسمة والانعطافة التاريخية في حياة ابن سهل فيترك دين أسلافه اليهود ويعتنق الدين الإسلامي، مع هذا كله كان من الطبيعي أنْ يكون للثقافة العربية الإسلامية أثر بارز في صقل موهبته الشعرية وشخصيته الأدبية، ولا سيمات إذا علمنا أنَّهُ تتلمذ على يد أبرز شيوخ اشبيلية في مجالات اللغة والنحو والادب، من أمثال أبي علي الشلوبين ، وأبي الحسن الدباج ، والأعلم البطليوسي، والغافقي، وهم من العلماء الأجلاء الذي ملأت شهرتهم الأندلس).[٥]

وقد تأثر بالقرآن الكريم في لغته وصوره الشعرية، وعاشر المسلمين ومدح بنصوصه الشعرية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بقصيدة طويلة، كما أنَّ من أرخ لهُ على إسلامه استدل بقصيدة

(١) مختارات من الشعر الأندلسي، محمد رضوان الداية: ١٣٥.،
(٢) اتجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الاشبيلي الأندلسي: ٢٢.
(٣) المُغرب في حلى المَغرب: ٢٦٩/١.
(٤) اتجاهات المديح في شعر ابن سهل: ٢١.
(٥) اتجاهات المديح في شعر ابن سهل: ٢١.

دالية قال فيها:(١)

تَسَلَّيْتُ عَـنْ موسَى بِـحُـبِّ مُحمدٍ ولَـوْلاَ هُدَى الرحمنِ ما كنتُ أَهْتَدِي
ومـا عَـنْ قِلَـى فَـارَقْـتُ ذَاكَ وإنَّـمـا شَـرِيـعَـةُ مُـوسَـى بُـدِّلَـتْ بـمُـحَـمَّـدِ

وفاته:

بعد حياة حافلة عاشها الشاعر ابن سهل الاشبيلي انتقل فيها من مكان إلى آخر، إذ بسبب الاضطرابات في اشبيلية غادرها متوجهًا إلى جزيرة منورقة عام (٦٤١هـ)، وفي طريقه إلى هذه المدينة وصل إلى مدينة (شريش) إحدى المدن الأندلسية في اشبيلية، وقد لبث في منورقة مدة لم تتجاوز العام الواحد، فعاد بعدها إلى اشبيلية، ومن بعد ذلك توجه إلى مدينة سبتة سنة (٦٤٢هـ)، إذ مدح واليها أبو علي بن خلاص كعادته في مدح الولاة أينما حل بهِ الارتحال، ونظرًا لبراعته حصل على ثقة صاحبها أبي علي بن خلاص فعينه كاتبًا ووزيرًا، فتولى ابن سهل الأندلسي منصب الوزارة، وقد عمد ابن خلاص إلى تقريب ابن سهل منه أكثر من ذي قبل، فقد قرر إرسال هدية مع ابنه أبي القاسم إلى صاحب تونس أبي زكريا الحفصي، وأوفد ابن سهل الاشبيلي لمرافقة ابنه في إيصال الهدية، وبالفعل ركب البحر ويشاء القدر أنْ ينقلب بهم القارب في البحر لشدة هيجانه بسبب العواصف، فيغرق الجميع في البحر ومنهم ابن سهل، فكانت وفاته على رأي أكثر العلماء في سنة (٦٤٩هـ)، أي أنَّ عمره عندما توفي كان أربعين عامًا.(٢)

شاعريته:

أشاد الكثير من العلماء والأدباء بالمكانة الأدبية عمومًا والشعرية على وجه التحديد التي حظي بها الشاعر ابن سهل الاشبيلي؛ وذلك لأنَّهُ ترك لنا تراثًا شعريًا جميلًا من القصائد الطوال والمقطعات القصار، فضلًا عن الموشحات الجميلة، والتي يعد فارسها الأول بلا منازع، وقد عارض العديد من الوشاحين موشحات ابن سهل، ولكنهم لم يصلوا إلى درجة الرقي التي بلغها في تواشيحه.(٣)

ويلاحظ على شعره أنَّهُ وجداني صرف تمليه العاطفة، وأرق الشعر هو ما أوحت بهِ العاطفة، وأملاه الوجدان، وليس ما أنتجته الصنعة ونحت من العقل نحتًا، ولابن سهل ديوان شعر ضخم كانت

(١) ديوان ابن سهل الاشبيلي، حققه ورتبه: د. محمد فرج دغيم: ١١٤.
(٢) يُنظر: اتجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل: ٢٣- ٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٢٥.

أغراضه الشعرية تدور في الوصف والغزل والمدح والرثاء، وغير ذلك من الأغراض الشائعة في الشعر العربي، وله كذلك أبيات في التهاني والزهد، وعند النظر لديوان الشاعر ابن سهل نجد أنَّ الغزل والمديح هما صاحبا النصيب الأكبر في شعره، كما أنَّ أقل الشعر في ديوانه هو ما يتصل بالهجاء والمراسلات الإخوانية، كما يذهب إلى ذلك الدكتور إحسان عباس.(١) ، وهو أخيرًا كان صاحب شعر رقيق برقة القلب الذي كوته اللوعة، وهو كذلك شعر يميل إلى اللين والنضارة والسهولة بسهولة انسكاب الماء، فضلًا عن موسيقاه الساحرة التي تقع في السمع والقلب مباشرةً.

ثانيًا: تعريف المقطعات في اللغة والاصطلاح:

تحدثت المعجمات العربية على اختلاف مناهجها وأنواعها عن مفردة (قطع) التي يرجع إليها مصطلح المقطعات، ففي معجم الصحاح تعرف (قطع) بالقول (القطعة من الشيء: الطائفة منه، ويقال الصوم مقطعة للنكاح والمِقْطعُ بالكسر: ما يقطع به الشيء، والمقطعات من الثياب: شبه الجباب ونحوها: من الخز وغيره، وقال أبو عمرو مقطعات الثياب والشِعر: قصارها).(٢)

أمّا لسان العرب فيقول في مادة (قطع) (القطع إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا، قطعه يقطعه قطعًا وقطيعة وقطوعًا).(٣)

ويذهب صاحب تاج العروس إلى أنَّ المقطعات هي (من المجاز: المقطع من الشعر: قصاره وأراجيزه سميت الأراجيز مقطعات لقصرها...).(٤)

المقطعات اصطلاحًا: عند الحديث عن المقطعات اصطلاحًا نلاحظ أنَّ العديد من مصادر الأدب العربي القديم تتحدث عنه وتوليه اهتمامًا كبيرًا، ويلاحظ أنَّ هناك صلة وترابطًا لا يمكن إنكاره بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي لمفردة المقطعات، فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقول: (قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الأحاديث بقدر ما استطعنا به مؤونة الخطب الطوال...).(٥)

أمّا ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) فيدلي دلوه في المقطعات ومكانتها فيقول: (وقيل لابن الزبعرى: إنك تقصر أشعارك، فقال: لأنَّ القصار أولج في المسامع وأجول في المحافل، وقال مرة أخرى

(١) يُنظر: ديوان ابن سهل الأندلسي: ٤٣.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفول عطار، مادة (قطع): ١٢٦٦/٣-١٢٦٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قطع): ٢٧٦/٨-٢٨٤.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، مادة (قطع): ٤٢/٢٢.
(٥) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ١١٧/٢.

يكفيك من الشعر غُرة لائحة، وسبة فاضحة، وقيل للجماز: لمَ لا تطيل الشعر؟ فقال: لحذفي الفضول، وقال له بعض المحدثين وقد أنشده بيتين: ما تزيد على البيت والبيتين؟ فقال: أردت أنْ أنشدك مذارعة).[١]

وإذا ما تجاوزنا ابن رشيق وذهبنا إلى أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) نراه هو الآخر يعطي اهتمامًا للإيجاز، والذي يعني القطع أو المقطعات، فهو يرى أنَّها أفضل كثيرًا في بعض الأحيان من الإطالة والإطناب، فهو يقول: (قال أصحاب الإيجاز: الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة).[٢]

المبحث الأول: الوزن الشعري

قد لا تكون الموسيقى الخارجية ممثلة بالوزن العروضي شرطًا يتصدر شروط تحقيق الشعر على اختلاف أغراضه الشعرية، إلَّا أنَّهُ وبحسب الطبيعة العربية لهذا الفن، تعد ركيزة مهمة وأساسية من ركائز الشعر، تهيئ له التفوق والتمايز على سائر فنون الكلام، إذ يضيف الوزن الشعري إليه طبيعة أدائية تميزه عن النثر الذي يشترك معه في التوافر على الإيقاع بوساطة الأصوات والألفاظ، ضمن مستوى من التشاكل والاختلاف فيما بينهما، فضلًا عن التراكيب وأثرها الموسيقي الناتج عن تكرارها وتتابعها الأسلوبي في أي نص.[٣]

ومنذ القدم فطن العلماء والأدباء إلى أهمية الوزن الشعري في العملية الإبداعية، كيف لا وهو يعد بمثابة العمود الفقري للنص الشعري منذ العصر الجاهلي وحتى وقتنا الحالي، وإذا ما أردنا أنْ نلقي الضوء على مفهوم الوزن الشعري، فإنَّنا نجد أنَّ الوزن لغة هو (وزن الشيء يزن وزنًا وزنة رجح، ووزن الشيء قدَّره بواسطة الميزان، ووزن الشعر قطَّعه وميز بين ثقلهِ وخِفتهِ).[٤]

أمّا في التعريف الاصطلاحي فإنَّ الوزن الشعري عند أهل الأدب هو (الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة عن الحركات والسكنات في البيت الشعري)[٥]. ولدى كاتب آخر هو (مجموع التفعيلات التي يتألف

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ١٥٧/١.
(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تعليق وضبط: د. مفيد قميحة: ١٣٧.
(٣) يُنظر: شعر ابن سهل الاشبيلي- دراسة فنية، سناء ساجت هداب، رسالة ماجستير: ١٦٣.
(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون: ١٠٢٩/٢.
(٥) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. اميل بديع يعقوب: ٤٥٨.

منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان).[١]

وعد الذهاب إلى ديوان الشاعر ابن سهل الاشبيلي لغرض دراسة طبيعة الوزن في مقطّعاته الشعرية، تبين لنا بعد الاستقراء الدقيق أنَّ الديوان كان يحوي (٧٢) نصًا شعريًا في الأغراض الشعرية المختلفة ، وعند القيام بعمل إحصائية دقيقة للغاية توضح لنا أنَّ الشاعر كان قد نظم المقطعات فيه على بحور عدة، سوف نقوم باستعراضها من الأكثر إلى الأقل وهي:

1- البحر الطويل:

وهو بحر من البحور المهمة في الشعر العربي على مختلف عصوره الأدبية، فهو يتسم (بالجلالة والنبالة والجد، ولو قلنا أنّهُ بحر العمق لاستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها).[٢]

والبحر الطويل كان صاحب المرتبة الأولى من حيث عدد مرات وروده في مقطعات ديوان الشعر ابن سهل، إذ بلغ عدد النصوص الشعرية (٢٤) نصًا شعريًا، ممَّا يشكل بالنسبة المئوية (٣٣،٣٣٪) من مجموع عدد المقطعات في الديوان البالغ عددها (٧٢) نصًا كما أسلفنا بالذكر سابقًا، إنَّ عناية الشاعر بهذا البحث الذي يعد من البحور الطويلة يكشف عن اتجاه أسلوبي، إذ وجد الشاعر فيه وسيلة مثلى لتحقيق ما يرغب بالتعبير عنه على الرغم من اختلاف الأغراض، إذ إنَّ هذا السلوك في اختيار الإيقاعات ذات المجال الاستيعابي الواسع يضمر توحدًا أسلوبيًا، فضلًا عن ذلك نرى أنَّ النصوص التي تنظم في هذا البحر تميل إلى (الفخامة والأبهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس واستثارة الخيال وتخير المعاني).[٣]

وإذا ما أردنا أنْ نستعرض النصوص الشعرية التي نظمها الشاعر في البحر الطويل، يطالعنا نص يقول فيه:[٤]

أَذُوق الـهَـوَى مُـرَّ المَطَاعِمِ عَلْقَما وأَذْكُـــر مِـنْ فِـيـهِ الـهَـوَى فَيطِيبُ
تَـحِـنُّ وتَـصْـبُـو كـلُّ عَـيْـنٍ لِـحُـسْـنِـهِ كأنَّ عُـيـونَ الـنَّـاسِ فِـيـهِ قـلـوبُ

هنا يبدع الشاعر أيّما إبداع في ذكر صفات من يحب مستفيدًا من النغم الموسيقي في البحر الطويل، إذ أنّهُ بمجرد تذكر من يعشقه ويهواه يتحول العلقم شديد المرارة إلى أطيب المطاعم، ولفرط جمال المحبوب أنَّ كل عين تراه تعشقه فورًا وكأنّ القلوب حلّت محلّ العيون.

(١) موسيقا الشعر العربي، محمود فاخوري: ١٦٥.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب: ٤١٤/١.
(٣) المصدر نفسه : ٤١٤/١ .
(٤) الديوان: ٤٩.

وفي موضع ثانٍ من ديوان الشاعر نجده ينظم مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات مهنئًا شخصًا تعافى من المرض، إذ يقول:(١)

خَلُصْتَ خُلُوصَ التِّبْرِ مِنْ عِلَّةِ الضَّنَى وأَشْبَهتَ منه عِلّة بشُحُوبِ
فإنْ كانَتِ الحُمَّى تَضُرُّ عَدُوَّها فلا عَجَبًا إضرارُها بِطَبِيبِ
وما كَونُها في مِثْلِ جِسْمِكَ بِدْعَةٌ فما الحَرُّ في شَمْسِ الضُّحَى بِغَرِيبِ

هنا الشاعر استفاد من تفعيلات الطويل في رسم صورة رائعة لشفاء الطبيب من مرض الحمى، فهو يبين إنْ كانت الحمى تضر أعداءها فإنَّ أشد الناس حربًا عليها هم الأطباء ولذلك فلا عجب أنْ تصيبهم بالضرر والأذى.

2- البحر الكامل

يقع البحر الكامل في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام في مقطعات ديوان ابن سهل الاشبيلي، إذ بلغ عدد النصوص الشعرية (١٩) نصًا شعريًا، وهو ما يعادل بالنسبة المئوية (٢٦،٣٨٪) من مجموع العدد الكلي للنصوص، والبحر الكامل هو الآخر يعد من أكثر البحور دورانًا واستخدامًا في الشعر العربي، وهو من البحور الصالحة (لإبراز العواطف البسيطة غير المعقدة كالفرح والغضب والحنث والفخر المحض وما إلى ذلك)(٢)، فالشاعر في هذا البحر يعمد إلى (الفخامة والجزالة هذا مذهب، والرقة واللطف هذا مذهب آخر).(٣)

ولدى الحديث عن النصوص الشعرية التي نظمها الشاعر في هذا البحر يطالعنا نص قاله في وصف نهر:(٤)

للهِ نَهْرٌ ما رَأَيْتُ جَمالَهُ إلَّا ذَكَرْتُ لَدَيْه نَهْرَ الكَوْثَرِ
والشَّمْسُ قَدْ أَلْقَتْ عليهِ رِداءَها فَتَراهُ يَرْفُلُ في قَمِيصٍ أَصْفَرِ
والطَّيْرُ قَد غَنَّتْ لِشَطْحِ رواقِصٍ فَوْقَ الغَدِيرِ جَرَرْنَ ثَوْبَ تَبَخْتُرِ

هنا نلاحظ براعة الشاعر في توظيف تفعيلات البحر الكامل لوصف نهرٍ يراه أنَّهُ في جماله كأنه نهر الكوثر المذكور في القرآن الكريم، وتكتمل الصورة بأنَّ الشمس عندما تلقي شعاعها عليه كأنه جميلة في ثوب أصفر، والطيور الجميلة تغني وترقص وهنَّ يلبسن ثياب يتبخترن بها وقد تناسب

(١) الديوان : ٧٨.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/٢٧٧.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٧٧.
(٤) الديوان: ١٧٤.

عدد المتحركات في البحر الكامل مع انفعالات الفرح في هذه الصورة الشعرية .

وإذا ما ذهبنا إلى الغزل وهو غرض نال النصيب الوفير من نظم الشاعر قصائد ومقطّعات، نجد نصًا شعرياً يقول فيه:(١)

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي مُـــتأخِّـــرٌ عـنـه ولا مُـتَـقَـدَّمُ
أجــد الــملامــةَ فـي هــواكِ لـذيـذةٌ حـبّـاً لـذكـركِ فْـلَـيُـلـمْـنِـي الُّـلـوَّمُ
أشـبـهـتِ أعـدائـي فـصـرتُ أحبهم إذ كـان حـظـيَ مـنـكِ حـظـيَ منهمُ

الشاعر هنا قدّم لنا صورة جديدة ومبتكرة، مستعينًا بتفعيلات بحر فخم مثل البحر الكامل، إذ يبين هنا أنَّ الهوى والعشق بمن يحب أوقفه في مكان واحد، فلا يتقدم ولا يتأخر، وليس هذا فحسب، فمن المعروف للجميع أنَّ الملامة تعد من الأمور التي تعكر المزاج وتنغص الحياة، ولكن الشاعر يرى أنَّ الملامة في هوى من يحب هي مسألة لذيذة وقريبة من نفسه، وهو لا يأبه أو يهتم لكل شخص يلومه، ويستمر العزف الإيقاعي الساحر باستعمال الكامل، إذ يرى أنَّ من يهواها تشبه أعدائه، ولهذا صار يحب هؤلاء الأعداء، بدل كرههم لأنّهُ يرى أنَّ الحظ الذي يناله منها هو نفسه الذي يناله منهم.

3- البحر البسيط:

كان للبحر البسيط مساهمة في مقطعات شعر ابن سهل الاشبيلي، إذ بلغ عدد النصوص التي استخدم فيها هذا البحر (١٥) نصًا شعريًا، وهو ما يعادل بالنسبة المئوية (٢٠،٨٣٪) من مجموع النصوص الشعرية التي نُظمت بالمقطعات القصار والبالغ عددها (٧٢) نصًا في الديوان، والبحر البسيط (يقرب من الطويل وإنْ كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب مع تساوي أجزاء البحرين ولكنه يفوقه رقة وجزالة).(٢)

ويُلاحظ أنَّ البحر البسيط وإنْ بدا أقل شيوعًا من البحر الطويل، وهما قد اشتملا على دائرة واحدة، إلَّا إنّهُ – أي البسيط- أعلى درجة في الشيوع من بحر ثالث معهما في الدائرة نفسها، وهو البحر المديد.

وإذا ما أردنا استعراض النصوص الشعرية التي نظمها ابن سهل في هذا البحر، تطالعنا نصوص عدة أبدع فيها بالاستعانة بتفعيلات هذا البحر ومنها قوله:(٣)

(١) المصدر نفسه: ٣١٤.
(٢) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: ٣١٩.
(٣) الديوان: ٧٩.

أَمَا تَرَى دَمَهُ في الطَّشْتِ حِينَ جَرَى سُلافَـةَ الـرَّاحِ في كَأسٍ من الذَهَبِ
حَتَّـى إذا أَدْخَـــلَ فـي كُـمِّـهِ يَـدهُ كالَّشْمسِ غابتْ عنِ الأَبصارِ في الحُجُبِ
ارْجِـع لِمَا قَـال في التَّنزِيلِ خالِقُنا اخْفِضْ جَناحَكَ (يا موسى) مِنَ الرَّهَبِ

في هذه الأبيات نجد الشاعر يعزف سمفونية رائعة بتفعيلات البحر البسيط، فهو يشبه دمه في الطشت كأنه الخمر المعتقة التي تُشرب في كأسٍ من الذهب، ثمَّ يرسم صورة معبرة، إذ أنَّ المحبوب أو الممدوح يده ساطعة سطوع الشمس المشرقة وهو عندما يدخلها في كم الرداء كأنها الشمس التي حجبتها الغيوم الكثيفة، ثمَّ ينتهي إلى توظيف القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ)[1]، وهي آية خاطب الله عز وجل بها موسى (عليه السلام).

وفي مكانٍ ثانٍ من ديوان ابن سهل الاشبيلي نجد نصًا شعريًا نظمه في وصف تفاحة، قال فيه:[2]

تُفَّاحَةٌ مِنْكَ أَهْدتْ صَحْنَ خَدَّكَ لي أَذَكى مِنَ الحَمدِ في أَحَلى من الأَملِ
تَـوسَّـطَـتْ بَـيْـنَ مَـعْـشُـوقٍ وعَـاشِـقِـهِ بَمْوعِدِ الوَصْلِ فاحْمرَّتْ مِنَ الَخَجلِ
باَتَتْ تُداوِي جرِاحَ الشَّوْقِ في كَبِدي وبِـتُّ أَجْـرَحُـهـا بـالـدَّمْـعِ والـقُـبَـلِ

ترسم هذه الأبيات مشهدًا عاطفيًا بين عاشقين من خلال توظيف الرقة في تفعيلات البحر البسيط، فضلًا عن لغة شعرية وصور جميلة، فخدود هذه المعشوقة هي تفاحة حمراء أهدتها لهُ المحبوبة وهي أجمل من الحمد وأحلى من الأمل، ويصف الشاعر كيف أنَّ المعشوقة في لقاءها مع العاشق في موعد الوصل قد احمرّت خدودها بحمرة التفاحة اللذيذة الطعم، ثُمَّ بعد ذلك يصف الشاعر كيف أنَّ محبوبته تحاول مداراة جراح الشوق واللهفة في قلب الشاعر بينما هو يؤذيها بدموعه التي تسيل من عينه شوقًا لمن يحب، وقبلات تعبر عن شدة الشوق والعاطفة، فالشاعر أوجد لنا إحساسًا موسيقيًا جميلًا مستعينًا بالبحر البسيط وتفعيلاته التي تطرب القلب.

4- البحران الخفيف والوافر:

حلَّ كل من البحرين الخفيف والوافر في المرتبة الرابعة من حيث الاستعمال في مقطعات ديوان ابن سهل الاشبيلي، إذ نظم في كل واحد منهما (٤) نصوص شعرية، أي بمعدل (٥٥،٥٪) لكل بحر منهما، والخفيف من البحور الشعرية التي نظم فيها العديد من الشعراء، وقد سمي (بحر

(١) سورة القصص: ٣٢.
(٢) الديوان: ٢٩٢.

الخفيف بهذا الاسم لخفته، وهذه الخفة متأتية من كثرة أسبابه الخفيفة، والأسباب أخف من الأوتاد)[١]، أمَّا البحر الوافر فهو أيضاً بحر لاقى اهتمامًا من شعراء العصور الأدبية المختلفة، وقد (سمي الوافر بهذا الاسم لوفور أوتاد تفعيلاته، وقيل لوفرة حركاته؛ لأنَّهُ ليس في تفعيلات البحور المختلفة حركات أكثر ممَّا في تفعيلاته في الدائرة).[٢]

ولدى النظر في النصوص الشعرية التي نظمها الشاعر ابن سهل الاشبيلي في البحر الخفيف، إذ نجد أبياتًا يشكو فيها ألم الفراق لمحبوبه، إذ يقول:[٣]

اتْرُكَا اللَّومَ في الهَوَى واعْذُراَنِي سَاعِدَانِي علَى البُكَا إنْ بَكَيْتُ
لا تَلُومَا عَلى الصَّبابَةِ مِثلِي هَائمًا لَوْ لَقِيتُمَا ما لَقِيتُ
تَأمُرانِي على الرُّقَادِ بَجْهلٍ وأنَا في الغَرامِ عَنْه نُهِيتُ

يرسم الشاعر لنا صورة فنية رائعة مستخدمًا خفة تفعيلات البحر الخفيف وموسيقاه المعبرة، فهو لا يقبل اللوم في العشق والهوى، بل هو يطلب بدل ذلك مساعدته على البكاء بدموع غزيرة، وهو كذلك لا يقبل لوم من يلومه في حرارة الشوق، لأنَّ اللائم لا يعلم بما لاقى ويلاقي، وفي نهاية سمفونية الحزن بأوتار البحر الخفيف يقول الشاعر إنَّ الذين يريدون منه النوم والراحة هم في جهالة وعدم معرفة؛ لأنَّهُ نهي عن النوم والرقاد في سبيل الغرام والعشق.

أمَّا في البحر الوافر فقد نظم لنا الشاعر أبياتًا تفيض بالوصف الجميل للخال في خد الحبيب، إذ يقول:[٤]

كَأَنَّ الخَالَ في وَجَناتِ مُوسى سَوادُ العَتْبِ في نُورِ الوِدادِ
أَخُطَّ بِصُدْغِهِ للحُسْنِ واوٌ فَنَقَّطَ خدَّه بعضُ المِدَاد

جمال الموسيقى في هذه الأبيات الشعرية باستخدام البحر الوافر تأتي من خلال الإيقاع الهادئ، ممَّا يخلق نغمة موسيقية جميلة باستخدام صورة فنية باستخدام التشبيه، فشاعرنا يرى أنَّ الخال في وجه المحبوب هو شبيه بالسواد الذي يخلفه العتاب في الوداد، فكما يزيد العتاب الوداد جمالًا، كذلك يفعل الخال في وجه الحبيب، ثُمَّ أنَّ الشاعر يصف خطًا في صدغ الحبوب كأنَّهُ حرف الواو، وهذا يوحي بالجمال والرقة، وهو يرى أنَّ الذيل في حرف الواو ما هو إلَّا نقاط من الحبر نقطت على خده الجميل.

(١) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر: ٧٦.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٦.
(٣) الديوان: ٨١.
(٤) المصدر نفسه: ١١٢.

5- البحر السريع :

رغم أنَّ استخدام البحر السريع في الشعر العربي كان كثيرًا، كونه أقرب البحور لبحر الرجز[١]، إلَّا أنَّ شاعرنا ابن سهل الإشبيلي كان مقلًا في استخدامه، إذ لم نجد في ديوانه سوى (٢) نص شعري فقط، وهو ما يشكل بالنسبة المئوية (٢،٧٧٪) من المجموع الكلي للنصوص، والسريع بحر متدفق متلاحق المقاطع، ويكون أقرب إلى طبيعة الخطابة منه إلى الشعر[٢]، والسريع (سمي بهذا الاسم لسرعة النطق بهِ، وهذه السرعة متأتية من كثرة الأسباب الخفيفة)[٣]، وعند الذهاب إلى النصوص الشعرية نجد الشاعر ينظم أبياتًا في وصف غلام شاعر، قال فيها:[٤]

كَيْفَ خَلاَصُ الَقْلبِ من شَاعرٍ رَقَّتْ مَعَانِيهِ عَن النَّقْدِ
يَصْغرُ نَثْرُ الدُّرِّ عن نَثْرِهِ وَنْظمُهُ جَلَّ عَن العِقْدِ
وشِعْرُهُ الطَّائِلُ في حُسْنهِ طَالَ عَلَى النَّابِغَةِ الجَعْدِي

يبدو أنَّ الشاعر معجب كل الإعجاب بهذا الغلام الشاعر، وقد عمد إلى توظيف بحر متدفق ومتلاحق وسريع النطق بهِ مثل البحر السريع، والشاعر يسأل عن سبيل خلاص قلبه من شعر شاعرٍ معانيه في غاية الرقة لا يمكن أنْ ينتقدها أحد لفرط جمالها، والنثر لدى هذا الشاعر كأنَّهُ الدر والياقوت، أمَّا نظمه فهو يعلو كثيرًا على العقد من الجواهر الثمينة، وشعره في حسنه لا يمكن أنْ يطوله أحد حتى لو كان الشاعر المخضرم النابغة الجعدي وهو من الشعراء الكبار.

6- البحور: الرمل والمتقارب والمجتث والمنسرح:

نالت البحور المذكورة في أعلاه المرتبة الأخيرة من الاستعمال في مقطعات ديوان ابن سهل الإشبيلي، إذ نظم فيها نصًا واحدًا لكل بحر، أي ما يعادل بالنسبة المئوية (١،٣٨٪) لكل بحر منها.

والبداية ستكون مع الرمل وهو بحر الرقة، يجود نظمه في الأحزان والأفراح والزهريات خاصة، وقد تفنن في استعماله العديد من الشعراء الأندلسيين، ولم ينظم فيه الجاهليون إلَّا قليلًا.[٥]

(١) يُنظر: موسيقا الشعر العربي: ٧٣.
(٢) يُنظر: شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي: ٢٣٣.
(٣) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر: ٩٣.
(٤) الديوان: ١١٦.
(٥) يُنظر: موسيقا الشعر العربي: ٥٢.

يقول الشاعر ابن سهل في موسى:(١)

لَسْتُ مَشْغُوفًا بِمُوسَى إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَلْبٌ فَأَشْكُو شَغَفا
كُنْتُ سَالٍ قَبْلُ والْيَوْمَ فَقَدْ تُبْتُ يَعْفُو اللهُ عَمَّا سَلَفا

واضح أنَّ موسى قد نالت محبته من الشاعر قبله بالكامل، فهو ومن خلال الرقة التي وفرها بحر الرمل يبين لنا أنَّ الشغف والهوى قد غادرا قلبه؛ لأنَّهُ ببساطة ليس لديه قلبٌ يشكو الشغف والوله ، وهو يبين أنَّهُ كان يشكوه في الهوى اليوم وقبله، ولكنَّهُ تاب إلى الله سبحانه وتعالى الذي يعفو ويغفر عما سلف من الذنوب.

أمَّا المتقارب فهو ذلك البحر الذي فيه رنة واضحة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة، فيصلح للأناشيد الحماسية.(٢)

يقول الشاعر ابن سهل الاشبيلي: (٣)

سَأَشْكُرُ مِنْكَ العُقُوقَ الذي نَهَى شَغَفي عَنْكَ شُكْرَ النَّصِيحَه
فَبشَّر صَدْرِي بقلبِي المُضَاعِ وَهنَّأَ بالنَّوْمِ عَيْنِي القَرِيحَه

الشعر هنا وظف تفعيلات البحر المتقارب للتعبير عن مشاعر معقدة، ربما تتحدث عن علاقة حب أو صداقة تعاني من المشاكل والجفاء، فهو سوف يقدم الشكر جزاء العقوق والإساءة، وهذا تعبير يوحي بالحيرة أو الارتباك، فالعقوق سلوك مشين يقابل بالرفض وليس بالشكر، ثُمَّ يبين أنَّ صدره أصبح فارغًا من القلب وقد وجده الآن، وليس هذا وحسب، فالعين الساهرة المحرومة من النوم سوف تهنأ بالنوم أخيرًا، وهكذا صورة مركبة لم يكن الشاعر أنْ يبدعها إلَّا بالبحر المتقارب.

أمَّا البحر المجتث فهو الآخر كان قد نظم فيه ابن سهل نصًا شعريًا فقط كما ذكرنا سابقًا، وهو بحر قليل الاستعمال حتى ذهب بعضهم إلى القول أنَّهُ ليس من بحور الشعر، ولكنَّهُ مع ذلك نجد شعراء نظموا فيه ولو بشكل قليل جدًا بعض النصوص الشعرية، وهو بحر عذب يصلح للشعر الوجداني والأناشيد والتواشيح الخفيفة.(٤)

(١) الديوان: ٢١٨.
(٢) يُنظر: موسيقا الشعر العربي: ٢٧.
(٣) الديوان: ٨٦.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٨٦.

يقول الشاعر ابن سهل في أبيات ظاهر منها العتاب:(١)

يُـدْنِـيـكَ زُورُ الأَمَـانِـي مِـنِّـي وتَـنْأَى طِلاَبـا
كأَنَّـنِـي حِـيـنَ أَبْـكِـي رِضـاك أبـكـي الـشَّـبَـابـا
وأَشْـتَـهِـي مِـنْـكَ ذَنْـبًـا أَبْـنِـي عـلـيـه الـعِـتَـابـا

الأبيات هنا تصف حالة غريبة فيها حالة من الشوق والرغبة في القرب من شخص محبوب، ولكن تحوي مشاعر متناقضة بعض الشيء، فهو أنَّ الأماني أو الأحلام تقرب المحبوب إليه بينما الواقع يبعد المحبوب بعيدًا، ثُمَّ يعقد الشاعر صورة رائعة يشبه فيها رغبته في رضا المحبوب برغبته في الشباب، أي أنَّ رضا المحبوب لهُ قيمة كبيرة مثل قيمة وأهمية الشباب، ويستمر الشاعر في إطرابنا في إيقاع جميل مستخدمًا تفعيلات البحر المجتث، إنَّهُ يرغب ويشتهي ويتمنى أنْ يقترف المحبوب ذنبًا ما كي يبني عليه عتابًا، وهو إشارة إلى رغبة جامحة في التواصل والتفاعل مع المحبوب حتى لو من باب العتاب.

وختامها سيكون مع البحر المنسرح الذي يمتاز (بالليونة والرقة حتى صوره بعض الباحثين بصورة الراقص المتكسر، أو المغني المخنث، وهو مع ليونته ورقته من البحور الصعبة والعسرة)(٢)

يقول الشاعر في وصف الطبيعة:(٣)

كَـيْـفَ تَـرَى زَوْرَةَ الَـخـلِـيـج وَقَـدَ صُـبِّـغَ وَجْـهُ الَـعِـشِـيِّ بِـالـوَرْسِ
وَرَقَّ ثَـوْبُ الأَصِـيـلِ وانْـفَـتَـحَـتْ فـي وَجْـنَـةِ الـنَّـهْـرِ وَرْدَةُ الـشَّـمْـسِ
يَـلْـهُـو بِـذَوَبِ الـلُّـجَـيْـنِ مُـطَّـرِدًا فيه وَذْوبُ الـنُّـضـارِ فـي الـكَـأْسِ

تتراقص الحروف والكلمات بتراقص تفعيلات البحر المنسرح، والشاعر يصف لنا منظرًا رائعًا عن جمال الخليج وقت الغروب، حيث يغمره اللون الذهبي للشمس، ثُمَّ يرسم لنا صورة جميلة توحي برقة وجمال ضوء الشمس عند الغروب، ثُمَّ يشير بعد ذلك إلى ظهور الشمس كوردة على وجه النهر، وأخيرًا يقول الشاعر أنَّ هذا المنظر الخلاب يوحي بالاستمتاع بجمال الطبيعة والشراب، حيث يتدفق اللجين وهو الفضة والنضار وهو الذهب في الكأس.

(١) المصدر نفسه: ٦٥.
(٢) شرح تحفة الخليل في العروض والقافية: ٢٤٧.
(٣) الديوان: ١٩١.

المبحث الثاني: القافية الشعرية

تعد القافية أحد عناصر الشعر العربي التي تمنحه جمالًا وإيقاعًا موسيقيًا تطرب لهُ النفوس، والقافية تعد عنصرًا أساسيًا في بناء القصيدة، وتستخدم لتحديد الوزن والقافية للقصيدة بشكل عام، إنَّ القافية يمكن أنْ تكون بسيطة أو معقدة، ويمكن لها أنْ تكون أداة للتعبير عن المشاعر والأفكار المختلفة، وإذا ما أردنا أنْ نعرف القافية لغةً فهي: (مأخوذة من قفا يقفو تتبع الأثر، إذ تبع؛ لأنَّها تتبع ما بعدها من البيت، وقافية كل شيء آخره)[١]، أمَّا من الناحية الاصطلاحية (القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على المذهب وهو الصحيح- تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين)[٢]، وهنا تعريف آخر للقافية يُقال فيه أنَّها (عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءًا مهمًا من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن)[٣]، وممَّا يجدر ذكره هنا أنَّ القافية كغيرها من وسائل الأداء التعبيري تعتمد على الامكانات اللغوية المتاحة فتحقق وببراعة أثرها الصوتي في النفس، ذلك أنَّ القافية (هي كالفاصلة الموسيقية يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة).[٤]

أمَّا إذا أردنا أنْ نتحدث عن طبيعة القافية في مقطعات ديوان ابن سهل الاشبيلي، نجد أنَّهُ كان قد استخدم القافية الشعرية بنوعيها المطلقة والمقيدة، ولكن كانت النسبة الأعلى للقافية المطلقة، إذ بلغ عدد النصوص الشعرية ذات القافية المطلقة (٦٧) نصًا شعريًا من مجموع النصوص البالغ عدده (٧٢) نصًا شعريًا، أي بحسب النسبة المئوية بلغت (٩٣،٥٥٪) أمَّا القافية المقيدة فقد بلغ عدد النصوص (٥) نصوص شعرية فقط بمعنى أنَّ النسبة المئوية هي (٦،٩٤٪)، وهذا الاتجاه شائع جدًا في الشعر العربي في مختلف العصور الأدبية مشرقية وأندلسية، ولدى غالبية الشعراء ونعني بهِ استخدام المطلقة أكثر من المقيدة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قفا): ١٦٦/١٢.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ١٥١/١.
(٣) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس: ٢٤٤.
(٤) فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلوصي: ٢١٥.

١- القافية المطلقة

المقصود بالقافية المطلقة هي التي يكون حرف الروي فيها متحركًا، وقد تكون حركته الكسر أو الفتح أو الضم.(١)

ومن خلال الاستقراء لجميع النصوص الشعرية التي تحمل طابع المقطعات في ديوان ابن سهل، وجدنا أنَّ القافية المطلقة كانت نسبتها أعلى بكثير من القافية المقيدة، وسوف نتعرض حركة الحرف الروي من الأكثر إلى الأقل.

-1 الكسرة:

نالت الكسرة المرتبة الأولى من حيث الاستخدام، إذ بلغ عدد النصوص الشعرية ذوات الروي المكسور (٣٥) نصًا شعريًا وهو ما يعدل حسب النسبة المئوية (٥٢،٢٣٪) من مجموع نصوص القافية المطلقة البالغ عددها (٦٧) نصًا شعريًا، والكسرة كثيرة في الشعر العربي؛ وذلك لأنَّها (تشعر بالرقة واللين، ومن تأمل الشعر العربي وجد أرقى قصائده مكسورات الروي في الغالب).(٢)

ولدى استعراض النصوص الشعرية نجد الشاعر يقول في إحدى مقطّعاته:(٣)

أَبـا مُـحَـمَّـدٍ اعْـذِرْنِـي فـحُـبـك قَـدْ جَـرَى بِنَفْسيَ جَـرْيَ الماءِ في العُودِ
وقدْ تَقَسَّـلدْتَ مِنْ حَلْي الفَضائِلِ ما أَلْـقَـى لـكَ الـنَّـاسُ فيه بالَمَقاليدِ

واضح من الألفاظ الرقة واللين اللذان تمتاز بهما الكسرة التي خصصها الشاعر رويًا لنصه الشعري في مفردات (العودِ، المقاليدِ، ملحودِ).

وفي مكان آخر نجد الشاعر ينظم أبياتًا يقول فيها:(٤)

وزَاهِـــرَةِ الـمَـرْأى مُـعَـطَّـرةِ الـشَّـذَا قد ابْتُدِعَتْ خَلْقًا منَ المِسْكِ والنُّورِ
رَنَـتْ مْـثِـلَ مـذْعـورِ الـظِّـبَـاءِ وإنَّـمـا مَشَتْ مِثْلَ ما يَمْشِي القَطَا غَيْرَ مذعور
وقَـدْ طَـرَّفَـتْ بِـيـضَ الـبَـنَـانِ بِأَسْـوَدٍ كما يَسْتَمِدُّ المِسْكَ أَقْلاَمَ كافورِ

وهنا أيضاً تنساب الكلمات انسيابًا سلسًا سهلًا من خلال توظيف الشاعر للقافية المطلقة المكسورة وهو يصف المحبوبة وصفًا رائعًا.

(١) يُنظر: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٧.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب: ٨٨.
(٣) الديوان: ١١٣.
(٤) الديوان : ١٦٨.

2- **الفتحة:**

حلت الفتحة في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام في القوافي المطلقة، إذ بلغ عدد النصوص الشعرية (٢٣) نصًا شعريًا من مجموع نصوص القافية المطلقة عمومًا والبالغ عددها (٦٧) نصًا، ممَّا يشكل بالنسبة المئوية (٣٤،٣٢٪)، ويلاحظ أنَّ (الفتحة في القوافي غير الموصولة بضمير أو نحوه – تأتي بالإطلاق- في الإطلاق كالصياح؛ لأنَّهُ ألف ممدودة طويلة، ومخرجها من أقصى الحلق، ولذلك فالفتحة دون صاحبتيها الكسرة والضمة، والشعراء لا يكثرون منها)[١]، ولكن في مقطعات شاعرنا الاشبيلي وجدنا غير ذلك، فالفتحة كانت أكثر من الضمة، ولكنَّها أقل من الكسرة، عند البحث في النصوص الشعرية نجد أنَّ الشاعر قد استخدم الفتحة في باب ألف الإطلاق في نصوصه الشعرية كافة، ومنها قوله:[٢]

رَأيــتُ حُسامًا فـي ذُرَاَ عَـامِـرٍ وقَـدْ كَـسَـاهُ بـيـاضًـا خَــوْفَ أنْ يتغيَّرا
فَقُلْتُ: لَبْستَ الذُّعرَ يا سَيف أيْضَا وَعْـهـدِي بثوْبِ الـذُّعْـرِ يُلْبَسُ أصْفرا
أرى مِنكَ قوسًا لو تعمدك المدى بـبـازٍ ويأبــى لـو صـحِـبـت غضنفرا

وكذلك قوله:[٣]

شَـفَـقٌ وشَـتْـهُ خُـضْـرةٌ فـي حُـمـرةٍ فــكأنَّــه خــدُّ الـحـبـيـبِ مُـعـرَّضـا
والـشَّـمـسُ تَـنْـظُـرُ نَـحْـوَهُ مصفرةً قـدْ شـمَّـرت ذيْـلَ الــوداعِ لِتْنهضَا
كـالـصَّـبِّ حـيـنَ رأى عِــذَارَ حبيبهِ لـمَّـا بَـدَا ، فَــسَلاَ وولَّــى مُـعْـرِضَـا

في النصين السابقين عملت قافية الفتحة مع ألف الإطلاق على إيجاد صورة رائعة ومعبرة عمَّا يجول في خاطر الشاعر من أحاسيس ومشاعر مضطربة.

3- **الضمة:**

أخيرًا وليس آخرًا كانت الضمة الأقل استخدامًا في قوافي مقطعا ابن سهل الاشبيلي المطلقة، إذ بلغ عدد النصوص (٩) نصوص شعرية، وهو ما يشكل بالنسبة المئوية (١٣،٤٣٪) من مجموع النصوص الشعرية الكلي البالغ (٦٧) نصًا.

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٨٧.
(٢) الديوان: ١٥٤.
(٣) الديوان : ١٩٥.

ويلاحظ على الضمة أنَّها (حركة تشعر بالأبها والفخامة)[١]، ومن يتأمل الشعر يجد أفخم النصوص الشعرية مضمومة في الغالب، ووجد شعراء الفخامة يميلون إلى الضم.[٢]

ومن النصوص التي نظمت في هذه القافية قول الشاعر:[٣]

تُرىَ يا زمانَ الوَصْل هل أنتَ راجِعُ وهل ماضِيُ الأفعالِ منكَ مُضَارِعُ؟
ولولا دُموعٌ أَشْعَلَ الجَمْرُ باطني ولولا جِمارِي أَغْرقَتْنِي المَدَامعُ
وَمِثْلِي كَتَكْلَى فَارَقَتْ أُنْسُ حِبِّها وَمِثْلِيَ مُوسى فَارَقَتْهُ المَراضِعُ

وفي موضع ثانٍ من ديوانه نجد الشاعر ابن سهل يستخدم القافية المطلقة المضمومة بألفاظ فيها الفخامة واضحة، إذ يقول:[٤]

وَأَحْوَى بِقَلْبِي منه جَمْرٌ مؤجَّجٌ أَراهُ عَلَى خَدَّيْهِ يَنْدَى ويَبْرِدُ
يُسائِلُنِي مِنْ أيَّ دِينٍ مُداعِبًا وشْملُ اعْتقِادِي في هَواهُ مُبَدَّدُ
فُؤادِي حِنيفِيٌّ، ولكِنَّ مُقْلتِي مَجُوسِيَّةٌ مِنْ خَدِّهِ النَّارَ تَعْبُدُ

٢- القافية المقيدة:

كانت هذه القافية الأقل ظهورًا ونظمًا في مقطعات ديوان ابن سهل الاشبيلي، إذ وجدنا (٥) نصوص شعرية فقط من مجموع (٧٢) نصًا شعريًا وهو المجموع الكلي، وهو ما يعادل حسب النسبة المئوية (٦،٩٤٪)، والقافية المقيدة (هي ما كان رويها ساكنًا فيتحرر الشاعر بذلك من حركات الإعراب في آخر القافية).[٥]

ومن النصوص الشعرية ذات القافية المقيدة قول الشاعر:[٦]

شَادِنٌ لَوْ جَرَى مَعَ الشَّمْـ ـس في حَلْيَةٍ سَبَقْ
عانَقَ الغُصْنَ فاحْتَذى لينَ عِطْفَيْهِ واسْتَرَقْ
نَشَقَ الزَّهْرَ فاسْتَقَا دَ بأنفاسِهِ عَبَقْ
وجَرَى لَيِّنُ النَّسيـ ـمِ على خَدِّهِ فَرَقْ

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ١/٨٨.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ١/٨٨.
(٣) الديوان: ٢٠١.
(٤) الديوان: ٩٠
(٥) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح: ٢٨١.
(٦) الديوان: ٢٤٢.

وفي موضع آخر من الديوان نجد الشاعر يكتب أبياتًا ذات قافية مقيدة وكأنها سمفونية ساحرة، إذ يقول:[1]

يَمينًا بديني إنَّـهُ الـحُـبُّ فيـكَ أَوْ بِقَبْلَةِ نُسْكِي إنَّـهُ وَجْـهُـكَ الحَسَنْ
لَحُبُّكَ مِـنْ قَلْبِي وإنْ سَلَّطَ الضَّنَى عَلَى جَسَدي أَشْهَى مِنَ الرُّوحِ للْبَدَنْ
ويـا وطَـنَ الـسُّـلْـوانِ والـعِـشْـقِ غُـرْبَـةً ألاَ عَـــوْدَةٌ بـالله فـي ذِلــكَ الـوَطَـنْ

لقد أبدع الشاعر أيما إبداع في النصين السابقين وهو يعزف لنا إيقاعًا جميلًا يأخذ بمجامع القلوب مستخدمًا القافية المقيدة، ليترك لنا صورة غاية في الروعة والإجادة.

(١) المصدر نفسه: ٣٦٨.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عبده الذي اصطفى، وعلى آله وأصحابه أهل المودة والوفا، وبعد...

ختامها مسك، فقد وصلنا إلى نهاية المطاف في هذا البحث الشيق والماتع، وقد خرجت هذه الدراسة بجملة من النتائج، وهي:

١- كانت حياة ابن سهل حافلة بالعديد من الأحداث، فقد ولد على الديانة اليهودية، ثُمَّ هداه الله عزَّ وجلّ إلى الإسلام، وانتقل بسبب الصراعات السياسية إلى مدن عدة، تاركًا مسقط رأسه اشبيلية مثل منورقة وسبتة وغيرهما.

٢- كانت ثقافته متعددة الجوانب والمعلومات، وقد عشق الشعر ونظمه منذ صباه، ولو كتب الله سبحانه وتعالى لهُ العيش أكثر لترك لنا أدبًا أكثر جمالًا وروعة.

٣- شكَّلت المقطعات الشعرية ظاهرة بارزة في ديوان الشاعر، إذ من المجموع الكلي للنصوص الشعرية البالغ عددها (١٦١) نصًا شعريًا، كان هناك (٧٢) مقطعة شعرية، وهو ما يشكل حسب النسبة المئوية (٤٤،٧٢٪) أي ما يقارب النصف تقريبًا.

٤- تنوعت عدد مرات البحور الشعرية المستخدمة، فهناك بحر استخدمه الشاعر أكثر من عشرين مرة، وهناك بحرين استخدمهما الشاعر أكثر من عشر مرات، فيما كان هناك بحور استخدمها الشاعر أقل من خمس مرات، فيما وجدنا بحور لم يستخدمها الشاعر سوى مرة واحدة.

٥- استعمل الشاعر القافية بنوعيها المطلق والمقيد، مع ملاحظة الحضور البارز جدًا للمطلقة على حساب المقيدة وبنسبة فرق كبيرة جدًا، وفيما يتعلق بحركات الروي كانت الغلبة لروي الكسر، ثُمَّ يليه الفتح، وأخيرًا الضم.

هذا أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ونسأل الله تعالى أنْ تكون قد أعطت صورة وافية عن طبيعة موسيقى الشعر الخارجية في ديوان ابن سهل الاشبيلي.

والله الموفق ..

المصادر والمراجع

٠ القرآن الكريم.

١- اتجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الاشبيلي الأندلسي- دراسة موضوعية وفنية، تأليف: أ.م.د. عدنان جاسم محمد، ط١، دار العصماء، دمشق، ٢٠١١م.

٢- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، لابن سعيد أبي الحسن علي ابن موسى (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري (د.ط) الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣- أُصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥- تحفة القادم، ابن الآبار البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج (د.ط) مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٣م.

٧- ديوان إبراهيم بن سهل الاشبيلي (ت ٦٤٣هـ) حققه ورتبه: د. محمد فرج دغيم، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٨- ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم لهُ: د. إحسان عباس (د.ط) دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٩- ذيل مرآة الزمان، قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن- الهند، ١٩٥٤م.

١٠- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي (د.ط) مطبعة منظر العاني، بغداد، ١٩٦٨م.

١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) تحقيق: د. احمد عبد الغفور عطار، ط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت ٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق على حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

١٣- فن التقطيع الشعري، صفاء خلوصي، مكتبة المثنى، بغداد، ط٥، ١٩٧٧.
١٤- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: د. إحسان عباس (د.ط) دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
١٥- في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي (د.ط) دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).
١٦- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الكتب العربية، الاسكندرية، ١٩٥٢م.
١٧- لسان العرب، ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.
١٨- مختارات من الشعر الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٩م.
١٩- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ط١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٥م.
٢٠- المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
٢١- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م.
٢٢- المُغرب في حلى المَغرب، أبي الحسن علي بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
٢٣- المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم (د.ط) مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٤م.
٢٤- المقتطف من أزاهر الطرف، أبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق ودراسة: د. سيد حنفي حسين (د.ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
٢٥- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٢م.
٢٦- موسيقا الشعر العربي، محمود فاخوري (د.ط) مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة حلب، سوريا، ١٩٩٦م.
٢٧- موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، د. شعبان صلاح، ط٤، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦٩هـ.
٢٩- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل آيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، اعتناء وتحقيق: أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

الرسائل والأطاريح:

١- شعر إبراهيم بن سهل الاشبيلي- دراسة فنية، سناء ساجت هداب، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية- كلية التربية، ١٩٩٩م.